[وحكى عنه أيضاً أنه] قال: إن الله يرزق العبدَ رزقَ شهر في يوم واحد، فإن أصلح أصلح الله على يديه، وعاش هو وعياله بقيّةَ شهرهم بخير، وإن هو أفسد أفسد الله على يديه، وعاش هو وعياله بقيّةَ شهرهم بشَرّ[١].

[وقال ابن سعد بإسناده قال:] سئل معاوية: كيف ابنُك لك؟ قال: نِعْمَ الابن، كفاني أمر دنياي، وفرَّغني لآخرتي.

ولم يذكر ابن سعد تاريخ وفاته، وقال: كان ثقة، وله أحاديث[٢].

وقال غير ابن سعد: مات سنة ثمانين[٣].

أسند عن الحسن، وابن عباس، ومَعْقِل بن يَسار، وخلقٍ من الصحابة.

السنة الحادية والثمانون

فيها أغزى عبد الملك ابنَه عُبيد الله بلادَ الرُّوم، فوصل إلى قَالِيْقَلا ففتحها، ويقال: إن الفرات من عندها يجتمع.

وفيها خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجّاج وخَلَعه، وقيل: في سنة اثنتين وثمانين.

قد ذكرنا فيما تقدَّم مَقْتَ الحجاج لابن الأشعث، وتجهيزَه له إلى سجستان، وأنه رأى المصلحةَ أن يُغير على أطراف البلاد؛ إلى أن تلوح فرصة، فكتب إليه الحجاج في هذه السنة:

إني لا أرى رأيك الذي رأيتَه صواباً، وإنما حَمَلك عليه ضَعفُ عزيمتك، وخوفُك، فأوغِل في بلاد القوم، ومُرْ مَن قِبَلَك من المسلمين أن يَحْرُثوا ويَزْرعوا، ويقيموا، فإنها دارُهم حتى يفتحها الله عليهم، فإن أبيتَ فأخوك إسحاق الأمير على الناس، فخَلِّه وما وُلّيتَه.

---

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ٢٩٩، ٢٩٨، ٣٠٠ (على الترتيب)، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٥٧، ٢٥٨، و«المنتظم» ٦/ ٢٢٢.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٢١٩ـ٢٢٠، وانظر «السير» ٥/ ١٥٥.

(٣) من قوله: ولم يذكر ابن سعد... إلى هنا من (ص)، وما سلف بين معكوفات منها، وجاء بدل هذا في النسخ: مات معاوية سنة ثمانين، وكان ثقة وله أحاديث.

فجمع ابن الأشعث الناس، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني لكم ناصح، وعليكم مُشفق، وقد كان من رأيي ورأيكم ما اتَّفقْنا عليه من صلاح الأحوال، وقد جاءني كتابُ الحجاج يُعجِّزني ويُضعفُني، ويأمرني بالوُغول في الأرض التي هلك فيها إخوانكم المسلمون بالأمس، لنَهلِك كما هلكوا، فرَوْا رأيَكم، فنادوه: لا سَمْعَ لعدوِّ الله ولا طاعة.

وقيل: إن الحجّاج بعثَ إسحاقَ إلى عبد الرحمن في جيش، وكتب إلى عبد الرحمن أن: سِرْ إلى بلاد التُّرك، وإلا فقد وَلَّيتُ أخاك إسحاق أميرَ الجند. فعزَّ على ابن الأشعث، وخلع الحجاج، وصعد المنبر وقال[1]: أيها الناس، إن الحجاج لا يُبالي أن يُخاطر بكم فتَقتَحموا البلاد، فإن ظَفِرتم أكل بكم البلاد، وإن ظَفر بكم العدوّ كنتم الأعداء البُغَضاءَ. اخلعوا عدوَّ االله، فنادى [الناس] من كل جانب: قد خلعناه.

وقام عبد المؤمن بن شَبَث بن رِبعيّ التَّميمي ـ وكان على الشرطة ـ فقال: إنكم إن أطعتُم الحجاج جعل هذه البلاد بلادَكم ما بقيتم، ولم تُعاينوا الأحبة، أو يموتَ أكثرُكم، بايعوا أميرَكم، وانصرفوا إلى بلادكم فانْفُوا عدوَّ الله منها، فبايعوه على خَلْعِ الحجاج وجهادِه، ونفيِه من أرض العراق، ولم يذكروا عبدَ الملك حينئذٍ بشيء.

وبعث ابنُ الأشعث إلى رُتْبيل فصالحه على أنه إنْ ظهر على الحجَّاج وضع عنه خراجَه، وإن لم يَظهر أو هُزِم والتجأ إليه حَماه من الحجاج، وتعاهدا وتعاقدا، ثم سار ابنُ الأشعث بجيوشه من بُسْت، وبين يديه الأعشى[2] على فرسٍ وهو يرتجز ويقول:

شَطَّتْ نَوى مَن دارُه بالإيوان ... إيوانِ كِسرى ذي البُنا بالرَّيْحانْ[3]
من عاشقٍ أمسى بزابُلِسْتان ... إنّ ثَقيفاً منهم الكَذَّابانْ
كَذابُها الماضي وكذابٌ ثانْ ... أمكن ربّي من ثَقيفِ هَمْدَان
إنا صَمَدْنا للكَفورِ الفَتَّان ... لما طَغى في الكُفْرِ بعد الإيمان

(١) في الطبري ٦/ ٣٣٥ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣٠ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٢٥ أن القائل عامر بن واثلة الكناني.

(٢) هو الهمداني، والرجز في الطبري ٦/ ٣٣٧ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣٢ . ببعض اختلاف.

(٣) في المصدرين: ذي القرى والريحان.

يا سيِّدَ الفِتيانِ عبدَ الرحمن هذي الجُموع سِرْ بها من قَحْطان
ومن مَعَدٍّ قد أتتْ وعدنان وقُل لحجَّاجٍ وليِّ الشَّيطان
جاءت مَذْحِجٌ وهَمْدان[1] وإنَّهم ساقوه كأسَ الذِّيْفان
ويُلحِقوه بقُرى ابنِ مَرْوانْ

ولما سار ابن الأشعث إلى العراق هرب منه إخوته: إسحاق، والصباح، والمنذر، والقاسم بنو محمد، فأما القاسم فعاد إلى أخيه عبد الرحمن، وأما الثلاثة الأُخَر فلَحِقوا بالحجّاج، وجعل ابنُ الأشعث على مُقدِّمته عَطيّة بن عمرو العَنْبري، وبعث الحجاج إليه الخيل، فجعل لا يلتقي له خيلاً إلا هزمها، فقال الحجاج: مَن هذا؟ قالوا: عطيّة، قال: نعم، وفيه يقول الشاعر[2]: [من مجزوء الكامل]

فإذا جعلتَ دُروبَ فا رسَ خلفَهم دَرْباً فدَرْبا
فابعَثْ عَطيَّةَ في الخيـ ـلِ يَكُبُّهنّ عليه كَبَّا

ولما نزل ابن الأشعث بكَرْمان وَلّى عليها خَرَشَة بن عمرو التَّميمي، وكان بها أبو إسحاق السَّبيعي، وكان ابنُ الأشعث يقول له: خالي خالي، فقيل لأبي إسحاق: قد سأل عنك أفلا تأتيه؟ قال: لا، فلم يَقْرَبْه في الفتنة حتى كانت الجماجِم.

ولما دخل الناس فارس اجتمعوا وقالوا: إنا إذا خلَعْنا الحجاج فقد خَلَعْنا عبدَ الملك، فقام يحيى بن أَبْجَر[3] من تَيْم الله بن ثعلبة فقال: أيها الناس، إني قد خلعتُ أبا الذِّبَّان كما خلعتُ قميصي هذا، فخلعه الناس إلا قليلاً، وبايعوا ابنَ الأشعث على كتاب الله، وسنَّةِ رسوله ﷺ، وخلعِ أئمةِ الضَّلالة، وجهادِ المُحِلِّين.

ولما بلغ الحجاج ذلك كتب إلى عبد الملك يُخبره، ويسأله تعجيلَ الجنود، وسار من الكوفة حتى نزل البصرة.

وبلغ المهلَّب ما فعل ابن الأشعث، فكتب إليه: اللهَ اللهَ في دماء المسلمين لا تَسفِكْها، وأمة محمد ﷺ لا تُفَرِّقْها، وبيعتك لا تَنْكُثْها.

---

(١) وفيه سقط، ولفظُه في الطبري: يثبت لجمع مذحج وهمدان، وفي «أنساب الأشراف»: اثبت لجمع...
(٢) هو الأعشى الهمداني، والبيتان في الطبري ٦/ ٣٣٧، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٢٥.
(٣) في الطبري ٦/ ٣٣٨: تيحان بن أبجر، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣٦: بيحان بن الجرّ؟!

وقيل: إن ابن الأشعث كتب إلى المهلَّب وهو على خراسان ليُوافقه على الحجاج. فكتب إليه: يا ابنَ الأشعث، لقد وضعتَ رِجْلَك في غَرْزٍ طويل الغَيِّ على أمة محمد ﷺ.

وكتب المهلَّب إلى الحجاج: إن أهل العراق قد أقبلوا إليك مثلَ السَّيلِ المُنْحَدِر من عَلٍ، لا يَرُدُّه شيء حتى ينتهي إلى قراره، وإن لهم شِرَّةً في أول مَخرجهم، وبهم صَبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فلا يَرُدُّهم شيء حتى يَنتهوا إليهم، فخلِّ لهم عن البصرة حتى يأتوها فيُواقِعوا نساءهم، ويَشمُّوا أولادهم، فترِقّ قلوبُهم، فيخلدوا إلى المقام في منازلهم، فيتفرَّقوا عن ابن الأشعث، ثم واقِع مَن جاءك منهم، فإن الله ناصرُك عليهم.

فلما قرأ الحجاج كتابَه قال: فعل الله به وصنع، ما لي نظر، ولكن لابن عمِّه نَصح، وبعث بكتابه إلى عبد الملك، فلما قرأه نزل عن سريره، وبعث إلى خالد بن يزيد، فأقرأه الكتاب، فلما قرأه ورأى ما به من الخوف والجزع؛ قال له: لا تخف، لو كان الفَتْقُ من خراسان كان، أما من سِجستان فلا بَأْسَ عليك.

ثم قام عبد الملك خطيباً وقال: أما بعد، فإن أهلَ العراق طال عليهم عُمري؛ فاستعجلوا عليّ، اللهم سلِّطْ عليهم سيفَ أهل الشام حتى يَبلغوا رِضاك، فإذا بلغوا رِضاك لم يَتجاوزوا إلى سُخْطك.

ثم سَرَّب عبد الملك الجيوشَ إلى الحجاج، وعزَم الحجاج على لقاء ابنِ الأشعث، فسار من البصرة، فنزل إلى تُسْتَر، وقدَّم بين يديه مظهر بن حيّ[1] الجُذَاميّ، وعبد الله ابن رِمْث[2] الطّائيّ في خيل، فالتقوا على دُجَيل الأهواز بأصحاب ابن الأشعث؛ وعليهم عبد الله بن بيان[3] الحارثي في خيل، فهزموا أصحابَ الحجاج، وذلك في يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين، وقتلوا منهم خلقاً عظيماً.

وجاء الحجاج الخبرُ وهو يخطب، فنزل وعاد إلى البصرة، وخيلُ ابن الأشعث في طلبه، وكان عامله على البصرة الحكم بن أيوب ابن أبي عقيل الثقفي، وجاء أهل العراق إلى البصرة، فخرج الحجاج فنزل الزّاوية، وجاء أهل البصرة فنزلوا دورهم،

---

(١) في الطبري ٦/ ٣٣٩ : مطهر بن حر، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣٩ : مظهر بن حبى.

(٢) في (د): رمثة، وفي الطبري: رميثة.

(٣) في الطبري ٦/ ٣٤٠ : عبد الله بن أبان، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٤٠ : محمد بن أبان بن عبد الله.

فقال الحجاج: لله درُّ المهلَّب، لقد أشار علينا بالرأي فلم نقبل، وكان يقول الحجاج بعد ذلك: رحم الله المهلَّب؛ لقد كان ناصحاً للإسلام.

وفي رواية: أن الحجاج نزل رُسْتُقباذ، وعامله على البصرة الحكم على الصلاة، وعلى الشرطة عبد الله بن عامر بن مِسْمَع، وجاء ابن الأشعث فنزل تُسْتَر، وبينهما نهر، وذلك عشية يوم الأضحى، فواقعَهم، فقتل من أهل الشام ألفاً وخمس مئة، وانهزم الباقون، وكان مع الحجاج يومئذ خمسون ألف ألف درهم[1]، ففرَّق الجميعَ في قُوَّاده، وضمَّنهم إياها، وأقبل مُنهزماً إلى البصرة، فقال ابن الأشعث: أما الحجَّاج فليس بشيء، وإنما نريد غزوَ عبد الملك.

وبلغ أهلَ البصرة هزيمةُ الحجاج، وأراد عبد الله بن عامر بن مِسْمَع أن يقطع الجسرَ دونه، فرَشَاه الحكم بن أيوب مئة ألف درهم فكفَّ عنه، ودخل الحجاج البصرة، وعرفه الحكم، فأرسل إلى ابن عامر فأخذ منه المئة ألف، وجاء ابن الأشعث فدخل البصرة، وهرب الحجاج إلى ناحية العراق، وبايع أهلُ البصرة ابنَ الأشعث على قتال الحجاج وحربِ عبد الملك، من القُرَّاء وغيرِهم.

ذكر أسامي أعيان مَن بايعه من أهل العراق:

مسلم بن يَسار، وجابر بن زيد أبو الشَّعْثاء، وأبو الجوزاء وقتل معه، وأيّوب بن القِرِّيَّة، وماهان العابد، قتلهما الحجاج، وأنس بن مالك في جملة القُرّاء.

ومن أهل الكوفة: سعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعامر الشعبي، وطَلحة بن مُصَرّف، وذرّ، وعبد الله بن شدّاد، وأبو البَخْتَري الطائيّ، والحكم بن عُتبة، وعون بن عبد الله بن مَسعود الهُذَليّ، في خلقٍ عظيم.

وكان ابن الأشعث في مئتي ألف فارس، وعشرين ومئة ألف راجل، وكان دخوله البصرة في آخر ذي الحجة سنة إحدى وثمانين.

فصل: [قال أبو معشر:] وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك.

---

(١) في الطبري ٦/ ٣٤١: مئة وخمسون ألف ألف.

وكان على المدينة أبان بن عثمان، وعلى العراق الحجاج دون البصرة، والمهلب على خراسان، وعلى قضاء الكوفة أبو بُردَة بن أبي موسى، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أُذَينة.

[قال الواقدي:] وفيها ولد ابن أبي ذئب.

[فصل:] وفيها توفي

بَحِير بن وَرْقاء[1] الصُّرَيْميّ

وهو الذي تولَّى قتلَ بُكَيْر بن وِشاح بأمر أميَّة بن عبد الله لما كان بخراسان.

قال علماء السير: ولما عُزل أميّة عن خراسان تواعد بنو سعد بَحِيراً بالقتل، وقال عثمان بن رجاء ـ من بني عوف بن سعد ـ يحرِّض الأبناء من آل بُكَير على قتل بَحِير، من أبيات: [من الطويل]

فلو كنتَ من سعدِ بنِ عوفٍ ذؤابةً ... تركتَ بَحِيراً في دمٍ مُتَرَقْرِقِ
فقل لبَحِيرٍ نَمْ ولا تَخْشَ ثائِراً ... بعَوفٍ فعوفٌ أهلُ شَاةٍ حَبَلَّقِ[2]
دَعِ الضَّأنَ جذعاً قد سُبِقتم بوِتْرِكم ... وصرتُم حديثاً بين غَربٍ ومَشْرِقِ

وبلغ بَحيراً فقال: [من الطويل]

تواعَدَني الأبناءُ جهلاً كأنما ... يَرَون فِنائي مُقْفِراً من بني كَعْبِ
رفعتُ له كَفّي بحَدِّ مُهَنَّدٍ ... حُسامٍ كلَونِ الثَّلْجِ ذي رَوْنَقٍ عَضْبِ

فتعاقد سبعة عشر رجلاً من بني عوف بن كعب بن سعد على الطَلَبِ بدم بُكَيْر بن وِشاح، واتَّخذَ رجلٌ منهم يقال له: صَعْصَعة بن حرب العَوْفيّ خنجراً وسمّه، وقيل: غَمَسه في لبن أتانٍ مراراً، وكان بَحير في عسكر المهلَّب وقد قطع النهر، فتلطّف صعصعة حتى أخذ كتاباً من أهل بحير إلى بحير بالوصية به، فلما قدم على بَحير أقام عنده شهراً، ثم طعنه بالخنجر فقتله، وقُتل صعصعة.

---

(١) كذا في تاريخ الطبري ٦/ ٣٣١، وسلف ص٢١٦ أن الصواب: وِقاء.

(٢) أي: صغيرة، والأبيات هذه والتي تليها في الطبري ٦/ ٣٣١، ٣٣٢.

[فصل: وفيها توفي]

سُوَيد بن غَفَلَة

ابن عَوْسَجَة بن عامر بن وَدَاع بن معاوية بن سعد بن المغيرة بن مَذْحِج[١]، وكنيته أبو أمية، كناه بها عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

[وذكره ابن سعد] في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وقال: أدرك رسول الله ﷺ، ووفد عليه فوجده قد قبض، فصحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضوان الله عليهم، وشهد مع علي عليه السلام صفين، وسمع ابن مسعود، [ولم يسمع من عثمان شيئاً، وهذا قول ابن سعد[٢].

وقال ابن منده: أدرك دفن رسول الله ﷺ وهم ينفضون أيديهم من التراب.

قال ابن منده:] وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام.

وكان يقول: أنا لِدَةُ رسول الله ﷺ، لأنه وُلد عامَ الفيل، وقيل: قبله بسنتين.

قال الشعبي: قال سويد: أنا أصغر من رسول الله ﷺ بسنة.

وشهد خطبة عمر رضوان الله عليه بالجابية، وقال: أتانا مُصَدِّق رسول الله ﷺ فأخذتُ بيده، فقرأتُ في عهده، فإذا فيه: أن لا يُفَرَّقَ بين مجتمع، ولا يُجمَع بين مُتَفَرِّق، فأتاه رجل بناقةٍ عظيمةٍ مُلَمْلَمَة، فأبى أن يأخذها، ثم أتاه آخر بناقة دونَها، فأبى أن يأخذها، ثم قال: أيُّ سماءٍ تُظِلُّني، وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني إذا أتيتُ رسول الله ﷺ وقد أخذتُ خيارَ إبل امرىءٍ مسلم.

وقال ابن سعد: كان سويد متوارياً من الحجاج، فكان يُصلّي الظهر يوم الجمعة في جماعة.

[وحكى ابن سعد بإسناده إلى] الحارث بن لَقِيط قال: كان سويد [بن غفلة] يمرُّ بنا في المسجد إلى امرأة له من بني أسد هاهنا، وهو ابن سبع وعشرين ومئة سنة.

---

(١) كذا، وفي «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٩٠، و«تهذيب الكمال» وفروعه: سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر بن وداع ابن معاوية بن الحارث بن مالك بن عوف بن سعد بن عوف بن حريم بن جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٩٠، وما بين معكوفين من (ص).

وقال ابن سعد: أذَّن يوماً بالهاجرة، فسمعه الحجاج وهو بالمَدَرَة[١] فدعاه وقال: ما حملك على الصلاة بالهاجرة؟ فقال: صليتُها مع أبي بكر وعمر وعثمان، فقال الحجاج: لا تُؤذّن لقومك ولا تَؤُمَّهم.

وقال [ابن أبي الدنيا بإسناده إلى] عمران بن مسلم قال: كان سويد بن غَفَلة إذا قيل له: أعطِ فلاناً، ووَلِّ فلاناً، يقول: حسبي كِسرتي ومِلحي، قال: وكان سويد يقول: إذا أراد الله أن ينسى أهلَ النار؛ جعل كلَّ واحدٍ منهم في تابوت من نار على قَدْره، ثم أقفل عليهم بأقفال من نار، ثم يُجعل التابوت في تابوتٍ آخر، ثم يُضرم بينهما ناراً، فلا يرى أحدٌ منهم أنه قد بقي في النار غيره.

[وروى أبو نعيم قال:] كان سويد يؤمُّ الناس في رمضان وقد أتت عليه عشرون ومئة سنة، وكان يمشي إلى الجمعة ماشياً[٢].

وقال علي بن المديني: دخلتُ منزلَ أحمد بن حنبل، فما شبَّهتُ بيتَه إلا بما وُصِف لنا من بيت سُويد بن غَفَلة من زهده وتواضعه[٣].

وقال ابن عبد البر[٤]: شهد سويد القادسية، فصاح الناس: الأسدَ الأسدَ، فخرج إليه سويد، فضربه بالسيف على رأسه، فمر في فَقار ظهره، فخرج من ذَنَبه، وأصاب حَجراً ففلقه.

وحكى ابن عساكر عنه أنه افتض جارية بكراً وهو ابن سبع وعشرين ومئة سنة.

[ذكر وفاته:

حكى ابن سعد، عن الواقدي قال:] توفي سُويد بن غَفَلة بالكوفة، سنة إحدى ـ أو اثنتين ـ وثمانين، وهو ابن مئة وثمان وعشرين سنة[٥]، وأوصى أن لا يُؤْذَن بموته أحد، وأن يُكَفّن في ثوبيه، ولا تتبعه امرأة.

---

(١) هي القرية من الطين، وفي (أ) و(د): بالمدر، وفي «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٩١ ، و«الحلية» ٤/ ١٧٥ : بالدير.

(٢) «حلية الأولياء» ٤/ ١٧٦ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٢٧ـ٢٢٨ ، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢١ـ٢٢ .

(٣) «تهذيب الكمال» (ترجمة سويد).

(٤) في «الاستيعاب» (١٠٩٣).

(٥) بعدها في النسخ خلا (ص): وقيل سبع وعشرين، وقيل ثلاثين ومئة، والمثبت سياق (ص)، والخبر في «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٩١ .

[وذكر جدّي رحمه الله في «أعمار الأعيان» أن سُويد بن غَفَلة توفي وله سبع[١] وعشرون ومئة سنة، قال: وماتت سارة زوجة الخليل عليه السلام لهذا السنّ. وقيل: مات سويد وهو ابن ثلاثين ومئة سنة، والله أعلم.]

أسند عن عمر، وعلي، وبلال، وابن مسعود، وأبي ذَرّ، وأبيّ بن كعب ﷺ. وصحب أبا بكر رضوان الله عليه.

وروى عنه الشعبي، وعَبْدة بن أبي لُبابَة، وطلحة بن مصرف وغيرهم. وكان ثقةً، زاهداً، كثيرَ الحديث.

[فصل: وفيها توفي]

محمد بن الحَنَفيَّة

وهو محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب، وأمه الحنفيَّة خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن ثعلبة بن يَرْبوع بن ثعلبة بن الدُّول بن حَنيفة بن لُجَيم بن صَعْب بن علي بن بكر ابن وائل، ويقال: بل كانت من سَبْي اليمامة، فصارت إلى علي عليه السلام.

ومحمد من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وكنيته أبو القاسم.

[وقد ذكرنا قول النبي ﷺ لعلي: «سيولد لك من بعدي، قد نحلته اسمي وكنيتي»[٢].

واختلفوا في مولده، فقال قوم:] ولد في خلافة أبي بكر رضوان الله عليه.

[وقال ابن أبي حاتم: ولد] لثلاث سنين، أو لسنتين بَقِين من خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، في السنة التي ولد فيها سعيد بن المسيب[٣].

[ذكر طرف من أخباره:

قال علماء السير، منهم الشيخ الموفق: كان محمد بن الحنفية] عاقلاً، فاضلاً، ذا دين وعلم وعبادة، وكان حامل راية أبيه يوم الجمل، وكان أيِّداً، [أي:] قوياً، ذكر أن

---

(١) في (ص): تسع، وهو تصحيف، صوابه من النسخ الأخرى، و«أعمار الأعيان» ص ٩٨.

(٢) هو مرسل انظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٩٤، و«تاريخ دمشق» ٦٣/ ٣٥٧، والسير ٤/ ١١٥، وبنحوه أخرجه أحمد (٧٣٠) بإسناد صحيح كما ذكر محقّقوه. وما بين معكوفين من (ص).

(٣) «الجرح والتعديل» ٨/ ٢٦، ونقله ابن عساكر ٦٣/ ٣٥٣.

أباه علياً رضوان الله عليه كان بين يديه درع فقال: ينبغي أن يُقَصَّر هذا الدرع من هذا المكان، فأخذه محمد فشرطه بيده من ذلك الموضع[١].

[وقال الهيثم:] كان من عقلاء الناس [وأجوادهم]، معتزلاً للفتن وما الناس فيه من طلب الدنيا، وكانت القلوب مائلة إليه.

[وقال ابن سعد: كان محمد حاملَ راية أبيه يوم صفّين][٢].

وكان المختار يدعو إليه ويقول: إنه المهديّ، وهذا مذهب الكَيْسانيّة؛ وهم طائفة من الشيعة من أصحاب المختار، وكان المختار يُلَقَّب بكَيْسان، وقيل: الكيسانية أصحاب كيسان مولى علي عليه السلام، وقيل: كان تلميذَ محمد ابن الحنفية، وأما المختارية فأصحاب المختار، وجماعة منهم يزعمون أن محمد ابن الحنفية بجبل رَضْوى في شِعب منه مقيم لم يمت، دخل إليه ومعه أربعون من أصحابه، فلم يُوقف لهم على خبر، وأنهم أحياء يُرزَقون، وممن كان يذهب إلى هذا المذهب كُثَيِّر عَزَّة، والسيِّد الحِميريَّ، ولهما فيه أشعار كثيرة[٣].

قال كُثَيِّر[٤]: [من الوافر]

ألا إنّ الأئـمّـةَ مـن قُـريـشٍ ... وُلاةُ الأمـرِ أربـعـةٌ سَـواءُ
عـلـيٌّ والـثـلاثـةُ مـن بَـنـيـهِ ... هـم الأسـبـاطُ لـيـس بـهـم خَـفـاءُ
فـسِـبـطٌ سِـبـطُ إيـمـانٍ وبِـرٍّ ... وسِـبـطٌ غـيَّـبَـتْـهُ كَـرْبَـلاءُ
وسِـبـطٌ لا يـذوقُ الـمـوتَ حـتـى ... يَـقـودَ الـخـيـلَ يَـقْـدُمُـهـا الـلِّـواءُ
يَـغـيـبُ فـلا يُـرى فـيـهـم زمـانـاً ... بـرَضـوَى عـنـده عَـسَـلٌ وماءُ

ومنهم من يقول: إنه برَضْوى مقيم بين أسد ونمر، وعنده عينان نضَّاختان تجريان عسلاً وماءً، وأنه يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلاً كما مُلئت جَوراً، ومن أشعار السيِّد الحِميَريّ، وهو إسماعيل بن محمد: [من الوافر]

---

(١) «التبيين» ١٣٥ـ١٣٦ .

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٩٥ .

(٣) انظر «الملل والنحل» ١/ ٢٠٠ .

(٤) ديوانه ص ٣٧ .

ألا قـلْ لـلإمـام فَـدَتْـكَ نَـفْـسـي ... أطـلْـتَ بـذلـك الـجـبـلِ الـ سُـقـامـا
أضـرَّ بـمـعـشَـرٍ والَـوْكَ مـنّـا ... وسَـمَّـوك الـخـلـيـفـةَ والإمـامـا
وعـادوا أهـلَ هـذي الأرضِ طُـرّاً ... مُـقـامُـك فـيـهـمُ سـتّـيـن عـامـا
ومـا ذاق ابـنُ خَـولَـةَ طَـعْـمَ مَـوْتٍ ... ولا وارثْ لـه أرضٌ عِـظـامـا
لـقـد أمـسـى بـمَـوْرِقِ شِـعْـبِ رَضْـوى ... تُـراجـعـهُ الـمـلائـكـةُ الـكـلامـا
هـدانـا الـلـه إذ حِـرْنـا لأمـرٍ ... بـه ولـدَيْـه نَـلْـتَـمِـسُ الـتّـمـامـا

وقال السيّد أيضاً: [من الكامل]

يا شِعْبَ رَضْوى ما لمَن بك لا يُرى ... وبـنـا إلـيـه مـن الـصَّـبـابـةِ أوْلَـقُ
حتّى متى وإلى متى وكم المدى ... يـا ابـن الـوَصِـيِّ وأنـت حـيٌّ تُـرزَقُ[1]

قال ابن سعد: جاء رجل إلى ابن الحنفيّة، فسلم عليه وقال: كيف أنتم؟ فقال محمد: إنما مَثَلُنا في هذه الأمة مثل بني إسرائيل في آل فرعون، كان يُذَبِّح أبناءهم، ويَستحيي نساءهم، وإن هؤلاء يُذَبِّحون أبناءنا، ويَنكحون نساءنا بغير أمرنا[2].

وكان محمد يقول: ليس بحكيم مَن لم يعاشر بالمعروف مَن لم يجد من معاشرته بُدّاً، حتى يجعل الله له فَرَجاً ومَخْرجاً.

[وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه] قال: مَن كَرُمَتْ نفسُه عليه؛ لم يكن للدنيا عنده قَدْر.

وقال: إن الله جعل الجنةَ ثَمناً لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها.

وقال: كلُّ ما لا يُبتَغى به وَجهُ الله يَضْمَحلّ[3].

[وروى أبو نعيم أيضاً بإسناده إلى] علي بن الحسين ﷺ قال: كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدَّدُه ويتوعَّدُه، ويحلف أنه يبعث إليه مئة ألف في البحر، ومئة ألف في البر، أو يُؤدي إليه الجِزية، فسقط في ذَرْعه، وكتب إلى الحجاج: أن اكتُب إلى ابن الحنفيّة فتوعَّدْه وتَهَدَّدْه، ثم أخبرني بما يَرُدُّ عليك، فكتب الحجاج إليه يتوعَّده بالقتل، فكتب إليه ابن الحنفية: إن لله في كل يوم إلى خلقه ثلاث مئة وستين [لحظة،

---

(١) الأشعار الثلاثة في «تاريخ دمشق» ٦٣/ ٣٥١ـ٣٥٢ ، و«السير» ٤/ ١٢٢ـ١١٣ ، وفي حواشيهما فضل تخريج.
(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٩٦ .
(٣) «حلية الأولياء» ٣/ ١٧٥ـ١٧٧ ، و«التبيين» ١٣٦ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٢٩ ، وما بين معكوفات من (ص).

أي:] نظرة، وانا أرجو أن يَنظرَ الله إليّ نظرة يمنعني بها منك. فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك نسخته إلى ملك الروم، فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك ولا من أهل بيتك، ما خرج إلا من بيت نُبُوّة[١].

[ذكر ابن عساكر القصة، وقال: إن عبد الملك استقدم محمداً إلى دمشق، وسأله عن جواب ملك الروم. وذكر القصة[٢].]

وذكر ابن عساكر أيضاً أن محمد ابن الحنفية وفد على عبد الملك[٣] بدمشق في سنة ثمان وسبعين، فأنزله قريباً منه، وأكرمه وأحسن إليه، فأقام عنده شهراً، فأجازه وقضى حوائجه، وقال له: أتذكر يومَ صرعتَ مروان وجلست على صدره يوم الجمل، فقال محمد: عفواً[٤]، فقال عبد الملك: ما ذكرت لك ذلك وأنا أريد أن أكافئك، وإنما أردتُ إعلامَك أني قد علمتُ.

وذكر ابن سعد عن محمد ابن الحنفية قال: وفدتُ على عبد الملك فقضى حوائجي، وودَّعتُه، فلما كدتُ أن أتوارى عنه ناداني: يا أبا القاسم، مرتين، فكررت إليه، فقال لي: أما إن الله يعلم أنك يوم صنعت بالشيخ ما صنعت أنك كنت ظالماً له، يعني حين أخذ ابنُ الحنفية مروانَ يوم الدار، فلَبَّبَه بردائه، قال عبد الملك: وأنا أنظر إليه ولي يومئذ ذؤابة[٥].

وقيل لمحمد: ما بالُ أبيك كان يرمي بك في أماكن لا يرمي فيها الحسن والحسين؟! فقال: كانا خدَّيْه، وكنتُ يدَه، فكان يتَوقَّى بيده عن خدَّيه[٦].

وكان محمد ابن الحنفية يخضب بالحِنّاء والكَتَم، فقيل له: أكان أبوك يَخْضِب؟ قال: لا. قيل: فما بالك؟ فقال: أتشَبَّب للنساء.

---

(١) «حلية الأولياء» ٣/ ١٧٦، و«المنتظم» ٦/ ٢٢٩ـ٢٣٠.

(٢) ذكر ابن عساكر القصة ٦٣/ ٣٦٢ من طريق أبي نعيم، دون ذكر استقدام عبد الملك لمحمد.

(٣) في النسخ خلا (ص): وقال ابن عساكر وفد محمد بن الحنفية على عبد الملك، والمثبت من (ص)، والخبر في «تاريخ دمشق» ٦٣/ ٣٤٨.

(٤) في (ص): غفراً.

(٥) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١١٣.

(٦) «تاريخ دمشق» ٦٣/ ٣٦٤.

[وقال ابن سعد:] كان يَلبَس الخَزّ، ويتعمَّم بعمامة سوداء، ويتختَّم في يساره، وكان يَفلي رأسَ أُمِّه ويُمَشِّطها[١].

ذكر وفاته:

حكى ابن سعد عن الواقدي قال[٢]: مات محمد في سنة إحدى وثمانين وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقيل: ابن خمس وستين سنة، وكانت وفاتُه في المحرَّم، ودُفن بالبقيع، وجاء أبان بن عثمان وهو والي المدينة ليصلّي عليه، فقال أبو هاشم بن محمد: لا تُصَلِّ عليه حتى تطلب ذلك منا، فقال أبان: أنتم أولى بجنازتكم، فقدِّموا مَن شئتم. فقال أبو هاشم: نحن نعلم أن الإمام أولى بالصلاة ولولا ذلك لما قدَّمْناك، فقَدَّموه، فصلّى عليه[٣].

وقيل: مات سنة ثلاث وثمانين أو اثنتين وثمانين. وقيل: إنه توفي بأيلة. وقيل: بين الشام والمدينة، والأول أشهر[٤].

ذكر أولاده:

فولد محمد ابن الحنفية عبد الله وهو أبو هاشم، وحمزة، وعلياً، وجعفراً الأكبر، وأمُّهم أمُّ ولد.

والحسن، وكان من ظرفاء بني هاشم، وأهل العقل منهم، وهو أول مَن تكلَّم في الإرجاء، ولا عقب له. وأمه كمال[٥] بنت قيس بن مَخْرَمَة بن المطَّلب بن عبد مَناف.

وإبراهيم، وأمُّه مُسْرِعَة بنت عبَّاد بن شيبان، من قيس عيلان.

والقاسم، وعبد الرحمن، لا بقيّةَ لهما، وأمَّ أبيْها، وأمهم أم عبد الرحمن، واسمها بَرَّة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١١٥، والخبر السابق فيه.

(٢) في النسخ خلا (ص): قال الواقدي.

(٣) بعدها في (ص): رحمه الله تعالى انتهت ترجمته والله أعلم. اهـ. وانظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ١١٧.

(٤) انظر «المعارف» ٢١٦، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٥٧٢ـ٥٧٣، و«تاريخ دمشق» ٦٣/ ٣٩٠ـ٣٩٣، والتبيين ١٣٦، و«السير» ٤/ ١٢٨ـ١٢٩.

(٥) كذا في النسخ، وفي «نسب قريش» ٧٥، و«طبقات ابن سعد» ٧/ ٩٤، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٥٥٣: جمال.

وجعفراً الأصغر، وعوناً، وعبدَ الله الأصغر، وأمهم أم جعفر بنت محمد بن جعفر ابن أبي طالب.

وعبد الله، ورقيَّة لأمّ وَلَد[١].

فأما أبو هاشم فأكبر ولده، وكان من العلماء الأشراف، نذكره سنة تسع وتسعين.

قال الزبير بن بكار: وأمُّه أمُّ وَلَد تُدعى نائلة، وولدت لمحمد ابن الحنفية جعفراً الأكبر [وحمزة] درجا، وعلياً بني محمد[٢].

وأما الحسن فكان يُقدَّم على أخيه عبد الله، مات وليس له عقب، وسنذكره سنة أربع وتسعين.

وأما إبراهيم فكان يلقَّب شعيرة[٣].

وأما القاسم [فكان] مُؤَخَّذاً عن مسجد رسول الله ﷺ لا يقدر أن يدخُلَه[٤].

أسند محمد ابن الحنفية رضي الله عنه عن أبيه علي عليه السلام، وجماعة من الصحابة، ومعظم رواياته عن أبيه رضوان الله عليه.

السنة الثانية والثمانون

فيها كانت وقائع الحجاج وابن الأشعث، منها وقعة الزَّاوية، وكانت في أول المحرَّم، اقتتلوا قتالاً شديداً، وقال الحجاج: لله درُّ مصعب بن الزبير ما كان أكرمه! فعلم أهل الكوفة أنه لا يفر حتى يُقتَل، فقاتلوا دونه هم وأهل الشام، منهم سفيان بن الأَبْرد، فحمل على ميمنة ابن الأشعث فهزمها، وقتل جماعة من القراء، وقُتِل ابن المنذر بن الجارود[٥]، وعبد الله بن عامر بن مِسْمَع، وقُتل الطُّفَيل بن عامر بن واثِلة، وانهزم ابن الأشعث والناس معه إلى الكوفة، وبلغ أهل الكوفة فخرجوا إليه، فاستقبلوه وفرحوا به، وكان القصر قد عَصى فيه مَطر بن ناجية، فأخذوه وأتوا به ابن الأشعث،

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٩٤.

(٢) «نسب قريش» ٧٥، وما بين معكوفين منه.

(٣) في «المعارف» ٢١٧: يلقب بشعرة.

(٤) «المعارف» ٢١٧ وما بين معكوفين منه.

(٥) في الطبري ٦/ ٣٤٣: وقُتل المنذر بن الجارود.